قراءة في طبيعة العلاقات الإيرانية-التركية

أ.م. د عبد الحميد العيد سلطان(*)
moussaouiabd2003@yahoo.com

الملخص:

تبدو تركيا وإيران كقوتين مهيمنتين في المنطقة كما هو الحال اليوم،هذه المنطقة التي تتميز بالإختلالات وعدم التوازن، إذ تكتسب العلاقات الإيرانية–التركية أهمية مضاعفة لدى دوائر المختصين والباحثين وصناع القرار في منطقتنا العربية، بسبب: أن كلا من: إيران وتركيا يكونان بالاشتراك مع مجموعة الدول العربية ما يسمى بـ:(منطقة الشرق الأوسط)، هذه المواقف المتناقضة تسلط الضوء على العلاقات المضطربة بين الدولتين التي تعود إلى زمن الإمبراطوريتين: العثمانية والفارسية، وكان التنافس بفعل أهداف كل منهما، لاسيما أن كل منهما ترغب بالظهور كقوة إقليمية قادرة على أن تؤدي دوراً يساعد على الاستقرار في واحدة من أهم مراكز التوتر على الكرة الأرضية، وهذه الدراسة محاولة لقراءة طبيعة العلاقات التركية_الإيرانية بين ضرورات التحالف والتنافس في المحاور الثلاثة الآتية:

- **الموروث التاريخي للعلاقات الإيرانية التركية.**
- **سباق التنافس على النفوذ بين إيران وتركيا.**
- **الرهانات الإستراتيجية لكل من تركيا وإيران..**

المقدمة:

تبدو تركيا وإيران كقوتين مهيمنتين في منطقة الشرق الأوسط كما هو الحال اليوم،هذه المنطقة التي تتميز: بالإختلالات، وعدم التوازن، اذ تكتسب العلاقات الإيرانية–التركية أهمية

(*) مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية/جامعة بغداد.

مضاعفة لدى دوائر المختصين والباحثين وصناع القرار في منطقتنا العربية، بسبب: أن كلا من: إيران وتركيا يكونان بالاشتراك مع مجموعة الدول العربية ما يسمى بـ(منطقة الشرق الأوسط)، إذ تحيط جغرافيا إيران وتركيا بالجغرافيا العربية من الشرق والشمال، فتتداخلان معها بوشائج التاريخ، وروابط الحضارة المشتركة، على نحو قلما تتوفر في مناطق جغرافية أخرى، ويضاف إلى تلك الأسباب المهمة سبب إضافي هو: أن إيران وتركيا ليستا دولتين اعتياديتين في الجوار الجغرافي للدول العربية، بل هما قوتان إقليميتان في الشرق الأوسط، يتجاوز حضورهما الإقليمي الحدود السياسية لكليهما.[١]

ويسلط خطب المسئولين السياسيين الإيرانيين والأتراك الضوء على هشاشة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين.

فقد صرّح الرئيس (محمود أحمدي نجاد) عن الصداقة التي تربط الدولتين بعدّها صداقة قوية، قائلاً: أن "تركيا وإيران هما دولتان كبيرتان إسلاميتان ومتجاورتين تربطهما الأخوة والصداقة، واللذان يتشاركان العديد من الانتماءات، ويستعدان للمشاركة في انتماءات أخرى"[٢]، وكذلك السيد (رجب طيب أردوغان) الذي أكد في العام ٢٠٠٩م، على أن الرئيس (محمود أحمدي نجاد) هو: "صديق الأتراك"[٣].

وعلى العكس من ذلك، فإن وسائل الإعلام الإيرانية، بما في ذلك (وكالة فارس)[٤] نددت بعنف "بالنفاق التركي" بخصوص الملف السوري[٥].

هذه المواقف المتناقضة تسلط الضوء على العلاقات المضطربة بين الدولتين التي تعود إلى زمن الإمبراطوريتين: العثمانية والفارسية.

هذا التنافس كان بفعل أهداف كل منهما، لاسيما وأن كل منهما ترغب في الظهور كقوة إقليمية قادرة على أن تؤدي دوراً يساعد على الاستقرار في واحدة من أهم مراكز التوتر في الكرة الأرضية.

وهذه الدراسة محاولة لقراءة طبيعة العلاقات التركية_الإيرانية بين ضرورات التحالف والتنافس في المباحث الثلاثة الآتية:

– الموروث التاريخي للعلاقات الإيرانية_التركية.

– سباق التنافس على النفوذ بين إيران وتركيا.

– الرهانات الإستراتيجية لكل من تركيا وإيران..

المبحث الاول: الموروث التاريخي للعلاقات الإيرانية التركية:

تعود العلاقات التركية–الإيرانية إلى قرون مضت، إذ تميزت بمحطات رئيسة ثلاث، تواجه في عهد الصفويين و العثمانيين، وتخصام في العهد الشاهنشاهي–الأتاتوركي، ثم تعاون حذر في الأعوام الأخيرة. و قد عرف العهد الصفوي–العثماني صراعات دموية مريرة بين الطرفين على الخلفية المذهبية الشيعية–السنية، إلى أن حسم العثمانيون الصراع لمصلحتهم عن طريق معركة (جالديران) الشهيرة في العام ١٥١٤م، إذ هزموا الفرس الصفويين بقيادة الشاه (إسماعيل الصفوي)، واعتلوا الريادة في منطقة الشرق الأوسط و العالم الإسلامي.[٦]

إن إيران وتركيا تمثلان "أمتان متحدتان بخيوط غير مرئية من التاريخ"[٧]. وقد تجسد دراسة العلاقات الإيرانية– التركية كما أجراها، وقام بها (حسين هولنكور) عن طريق تحليل الكتب المدرسية الإيرانية التي تجسّد وتوضّح التقارب " لشعبين منذ الألف سنة ربما أعمق من أي شيء آخر"[٨]. وقد رأت بلاد فارس والباب العالي يتصرفون كأخوة، وكذلك كأعداء.

وتتضمن الكتب المدرسية الناقل المهم للهوية الإيرانية "العديد من الصور للأتراك، وتنوع للدلالات تبعاً للمكانة والدور المنسوب إليها في تاريخ إيران، وفي رقعة الشطرنج الجيوبوليتيكية للمنطقة أو لديناميكية العلاقات بين الأعراق في إيران اليوم"[٩]، إذ يفسر الماضي المشترك للبلدين هذا التسلسل للعناصر من التقارب والتباعد بينهما.

وقد تميزت عملية سقوط الإمبراطوريتين: الفارسية كما الإمبراطورية العثمانية من قبل دور القوى الغربية في المنطقة.

وكانت ردود الأفعال على تفكيك الإمبراطوريتين في كل مرة قوية، فيما كانت الرغبة في الاستقلال الذي نجم عن ذلك، تؤدي كذلك اليوم دوراً في السلوك السياسي للدولة التركية، وكذلك الإيرانية.

فمنذ تأسيس تركيا الحديثة على يد (كمال أتاتورك) انتقلت العلاقات بينهم إلى مرحلة الهدنة، فقد أصبح شاه إيران (رضا بهلوي) يرى تركيا بمنظور إعجاب لها و لمؤسسها أتاتورك، و إلى سعيه نحو العلمانية، والانفتاح على الغرب لتحقيق الحداثة، إذ دخلت طهران في حلف عسكري مع أنقرة سمي بـ(حلف بغداد ١٩٥٥)، و (حلف السنتو ١٩٥٩) الشيء الذي قوى العلاقات بين البلدين آنذاك[١٠]، وكان ظهور الأحلاف العسكرية في الخمسينيات من القرن الماضي مؤشراً جديداً على تقارب إيران وتركيا تحت السقف الدولي اللتين بنتا سياساتهما الإقليمية تحته، وعلى قياسه، وبالمقابل من الأحلاف العسكرية ظهرت فكرة: عدم الانحياز بقيادة ثلاثية ضمت الجمهورية العربية المتحدة والهند ويوغوسلافيا؛ مما أدى ذلك إلى ترسيخ صورة جديدة للمنطقة يقوم الفرز الإقليمي فيها على أساس التحالفات الدولية[١١].

وقد جسد وجود (كمال أتاتورك، ومُحَّد رضا بهلوي)[١٢] في الوقت نفسه تقارب آلية التحديث في كل من: تركيا وإيران[١٣]. لقد حاول الزعيمان إرساء "حقبة جديدة " في مجتمعاتهم كما هو الحال في علاقاتهما الثنائية، وكذلك الحال بالتشابه في مشاريعهما السياسية، كما في طبائعهما التي كثيراً ما يشار إليها. وقد ورثت كذلك الدولتين التوترات، ولاسيما الثقافية.

إن الاختلاف الأيديولوجي والمذهبي والرغبة بالسيطرة على اكبر عدد من الأراضي داخل ذات الإقليم دفع إيران لمقاومة التوسع العثماني"[١٤]–[١٥]، وهي الإشكالية كما سنرى ذلك التي ما تزال حاضرة دائماً إلى يومنا هذا. بقي أن نأخذ في الحسبان: أن العلاقات الإيرانية_التركية اتسمت بالتأرجح بين التوتر والتطبيع منذ الثورة الإسلامية بإيران في العام ١٩٧٩م، وهناك بؤر خلاف عدة بين البلدين، وإن حاولتا (طهران، وأنقرة) ردمها ومعالجتها، ولكنها سرعان ما تظهر إلى السطح عند أدنى توتر أو تعارض في التوجهات السياسية للبلدين، بخاصة عندما نتحدث عن القضية الكردية والصراعات السياسية والطائفية في العراق، وتحسن علاقات تركيا مع أكراد العراق، وأخيراً الأزمة السورية، إلاّ أنّ كل هذه الخلافات لم وربما لن تؤثر بشكل كبير في الجانبين: الاقتصادي والأمني بين البلدين،

كما أنها لن تؤدي في نهاية المطاف إلى قطيعة بين الدولتين الجارتين أو نشوب مواجهات عسكرية مهما كان حجمها، الأمر لا يتجاوز كونه اختلافا في وجهات النظر، بسبب الدور الذي يسعى كل جانب إلى لعبه في منطقة الشرق الأوسط، وقد يتلاشى كل ذلك سريعا ما لم يتم إذكاؤه من قبل أطراف أخرى أو في حال تهور غير محسوب العواقب من قبل أحد الطرفين.[١٦]

وقد تطبعت العلاقات الإيرانية_التركية بتاريخهما السياسي (سواء أكان الأمر يتعلق بالاضطرابات الداخلية أم بعلاقاتهما الثنائية)، وعلى نطاق أوسع عن طريق تطور السياق الإقليمي الذي تطوّر فيه الدولتان إستراتيجية نفوذ في المنطقة، دخلت العلاقات الإيرانية–التركية مفترقاً حاسماً بعد احتلال العراق في العام ٢٠٠٣م، إذ أسهم هذا الاحتلال في تبدل موازين القوى الإقليمية لمصلحة إيران، وبشكل جعل المصالح التركية عرضة للخطر من جراء ظهور الطموحات القومية الكردية، ومخاطر امتدادها إلى جنوب شرق الأناضول وأغلبيته السكانية الكردية، كما أدى احتلال العراق إلى إعادة توزيع لموازين القوى الإقليمية عموماً، وبين إيران وتركيا خصوصاً، إذ إن انهيار النظام العراقي السابق، وهيمنة الأحزاب السياسية الشيعية على الحكومة والبرلمان العراقيين، وكذلك ظهور دور الأكراد في شمال العراق والسلطة المركزية ببغداد، أدت كلها إلى: تزايد النفوذ الإيراني في بلاد الرافدين بالترافق مع نشوء تهديدات جديدة للأمن القومي التركي[١٧].

المبحث الثاني: سباق التنافس على النفوذ بين إيران وتركيا:

في الصراع على الزعامة الإقليمية، نرى: أنّه ومنذ العام ٢٠٠٣م، أينما ذهبت إيران تكون تركيا موجودة أيضا، للحد من النفوذ الإيراني المتنامي، وهو ما يثير انزعاج إيران، وفي خطوط الصدع الجديدة برز التنافس قديم العهد بينهما من جديد. ولكن الفرق: أن كلا منهما كانتا تسعيان إلى إشراك الأخرى في لعبة معقدة من المنافسة والتعاون من اجل تقليص خطر تحول التنافس إلى عداء[١٨]. بالنسبة للسيد (باتريس غوردان) الأستاذ الحاضر في الأكاديمية الفرنسية لسلاح للقوة الجوية، هنالك سؤال يطارد الشرق الأوسط منذ تصفية

الإمبراطورية العثمانية، وهو: من يملء الفراغ في المنطقة، ويحتل المركز المهيمن؟ بالنسبة للسيد (غوردان) فإنّ عدم الاستقرار الذي تتميز به المنطقة منذ العام ١٩٢٠م، يعود في جزء منه إلى "الرغبة في الهيمنة"[١٩] لإيران وتركيا، هاتان الدولتان الحدوديتان ينظران إلى وزنهما بصورة تختلف حسب النفوذ الذي يمارسونه على جيرانهم، وهكذا فإنّ الإطاحة بالنظام السياسي في العراق قد قاد إلى وصول الأغلبية الالتي تنتمي الى ذات المذهب الديني في ايران إلى السلطة منذ الأزمة العراقية في العام ٢٠٠٣م، وقد فسحت التحولات الإقليمية التي خلفها احتلال العراق من وجود فراغ امني في المنطقة، ووجود عسكري أمريكي مع غياب دور عربي فاعل المجال لتركيا وإيران، فضلا عن القوى الدولية لاغتنام تلك التحولات بتفعيل أدوارها في المنطقة[٢٠].

قد حرمت التغيرات المتتالية بعد الإطاحة بـ(صدام حسين) السنة من ممارسة السلطة التي كانوا يمارسونها من قبل، وأصبح العراق هكذا رأس الجسر للنفوذ الإيراني في العالم العربي[٢١]، ودفع بتركيا إلى النظر بحذر وعناية إلى بعد النجاحات والتغلغل السياسي والاقتصادي لإيران في العراق، وإن نظام الحكم الجديد يمكن أن يوجه ويقود بغداد بطريقة تتعارض مع مصالحها، وقد دعمت كل من تركيا العلمانية وإيران الإسلامية بعض القوى والرموز السياسية والتي تلتقي معها بالتوجهات السياسية.

ويلحظ: وجود عملية مشابهة في البحرين، إذ تتهم طهران النظام البحريني بإجراء حملات قمع ضد السكان الشيعة، في الوقت الذي تعلن فيه أنقرة مساندتها للعائلة السنية لـ(آل خليفة) الموجودة حالياً في السلطة.

وفي كلتا الحالتين: (العراق، والبحرين)، فإنّ تركيا تدعم وتساند القوى السنية في مواجهة إيران التي تساند القوى الشيعية، ومع ذلك فإنّ هذا لا يعني: أن (أنقرة) تطوّر بصورة منهجية سياسة خارجية لمصلحة السنة.

وكذلك الحال، فإنّ التموقع تجاه سوريا يمثل هو أيضاً: عنصرا مثيرا للإهتمام في العلاقات الإيرانية– التركية، اذ تنظر إيران إلى الأزمة السورية بعدّها مصدراً رئيساً للخلاف

والنزاع مع تركيا، وتنتقد طهران المحاولات التركية للتفاوض بخصوص الملف السوري، في حين أنّها تدرك: إن استئناف المفاوضات أو اللقاءات يجب أن يمر، وعلى الأرجح عن طريق تركيا[٢٢].

وتكشف كذلك الأزمة علاقات القوة في داخل الجمهورية الإسلامية، اذ إن البعض كان منزعج من السياسات التركية تجاه إيران، فيما كان البعض الآخر يذكر بأهمية العلاقات الثنائية بين البلدين.

أما بالنسبة إلى إيران، فإنها تعد سوريا الحليف العربي الرئيس، والأكثر أهمية لمدّ نفوذها في الشرق الأوسط إلى حدود لبنان.

وبالنسبة للجانب التركي، فإنّ سوريا هي دولة أو بلد مجاور أقامت معه علاقات تقارب شديدة ومكثفة في الجانبين: الاقتصادي والإستراتيجي التي عززت من الروابط بين حكومة حزب العدالة والتنمية، ونظام بشار الأسد.

وفي مواجهة التعاطي مع الاحتجاجات من قبل النظام السوري، فإنّ الدولتين (إيران، وتركيا) دافعتا كل واحدة منهما على مصالحها المتتالية عن طريق التصرف بطريقة وشكل مختلف للغاية عن الآخر، فإذا كانت إيران قد ساندت مباشرة حليفها العربي، فإنّ رد فعل تركيا كان على إستحياء في البداية على العنف الذي مارسه النظام السوري، والذي جذب انتقادات التي تذكر، وعلى العكس بردود الأفعال لحزب العدالة والتنمية تجاه الثورات العربية، غير أنها إنحازت تدريجياً إلى جانب إدانات المجتمع الدولي، وعارضت دمشق بكل قوة، وأصبحت الدعامة الأساسية لحركات المعارضة السورية، وهكذا فإنّ تركيا أبدت امتعاضها، وعدم موافقتها على سياسة النظام السوري، ورحبت وضيفت المجلس الوطني السوري، وكذلك قدمت قاعدة خلفية للجيش السوري الحر، هذا الدعم التركي لحركات المعارضة السورية، قرّب تركيا من دول الخليج العربي. أما إيران ومن ناحيتها فإنّها ساندت دمشق عن طريق إرسال المستشارين العسكريين والسلاح[٢٣].

وهكذا بالنسبة لتركيا، كما هو الحال بالنسبة لإيران، فإنّ المخاطر كبيرة، إذ أن مخرج الأزمة السورية سيؤثر بشكل كبير في تحقيق التوازن بين قوى المنطقة[٢٤].

المبحث الثالث: الرهانات الإستراتيجية لكل من: تركيا وإيران:

تنبع التوترات الإيرانية–التركية في جزء كبير منها من: عدم ثقة طهران بوجه الخيارات السياسية لأنقرة، ويمكن إجمال أهم هذه المحددات في التغيرات التي طرأت على رؤية كلا الدولتين للأخرى، وذلك لأن تركيا أخذت على عاتقها منذ أكثر من خمس سنوات العمل على وفق إستراتيجية مؤداها: تحسين علاقات تركيا الإقليمية، لاسيما مع جوارها الجغرافي.

اذ تحاول تركيا عن طريقها تجسيد قوة المبادرة الدبلوماسية (القوة الناعمة)، ولهذا تتوسط في العديد من المشكلات الموجودة في محيطها، وعن طريق تنشيط دورها في المؤسسات الإقليمية والدولية، ومشاركتها الفاعلة في قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة، والانفتاح الاقتصادي والثقافي على دول العالم كافة، حتى على تلك التي كانت بينها وبين أنقره عُقد ومشكلات تاريخية مزمنة، مثل: أرمينيا، كما ساعدت عدة عوامل أخرى على إحراز تركيا تقدما ملحوظا في تطبيق هذه الأسس، وتلك المرتكزات في سياسات ملموسة ومنسجمة، ومن أبرز هذه العوامل في الشرق الأوسط: توسطها بين سوريا وإسرائيل، هذا في وقت سعت فيه إيران من جهتها إلى كسب ود القادة الأتراك في مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية بشكل يقلل من إمكانات التقاء تركيا والولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل في حلف مناوئ تتركز أهم أهدافه في إجهاض مساعي إيران النووية، كذلك فإنّ الخطوات الإقليمية التي اتخذتها كلتا الدولتين الجارتين من أجل وضع حد لتدهور الأوضاع الإنسانية فى قطاع غزة، وفى الوقت نفسه: إنهاء المواجهة العسكرية بين آلة البطش الإسرائيلية وحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، في الوقت الذي ترى فيه الدولتان نفسيهما في قلب صراعات الإقليم، وتعملان على إعادة قراءة وتعريف خريطة القوى، والتحالفات فيه بما يمكنها من التعامل والتفاعل معه بكيفية يفترض بها: إن تحقق لكل منهما برنامجها الوطني والقومي، وهذا يعني: أن اتجاهات السياسة الإيرانية والتركية وتحولاتها بصدد القضايا الإقليمية والعلاقات مع

دول الجوار سوف تكون بوجه عام جزءاً من فرص . أو قيود . كبيرة أو توافقات . أو منافسات . لتعظيم المكاسب في الشرق الأوسط[٢٥].

لقد طرأ التحسن الهائل على العلاقات بين تركيا العضو بحلف شمال الأطلسي، وإيران لاسيما منذ وصول حزب العدالة والتنمية الإسلامي الليبرالي إلى سدة الحكم في العام ٢٠٠٢م، والذي تعهد: بإتباع سياسة خارجية إقليمية تقوم على: مبدأ "تصفير المشكلات" مع دول الجوار، هذا في حين شكلت طبيعة العلاقات بين الدولتين خلال العقود الماضية معضلة من إذ التنافس الإقليمي، وتباين المصالح، واختلاف طبيعة النظاميين الحاكمين في الدولتين المتجاورتين[٢٦]، إذ انتهجت تركيا في عقد التسعينيات، وعلى عكس موقفها في عقد الثمانينيات سياسة تنظر إلى إيران بوصفها بؤرة منافسة، نتيجة لعدم قدرة تركيا على تحقيق التوازن بين الخيارات الدولية والسياسة الإقليمية[٢٧].

ومع وصول "الإسلاميين المعتدلين" إلى السلطة في العام ٢٠٠٢م[٢٨]، من حزب العدالة والتنمية، الاّ انّ ذلك لم يمنع تركيا من التعاون الوثيق مع منظمة حلف شمال الأطلسي (OTAN)، ولم يتغير الوزن السياسي لتركيا في المنطقة، ولم يتقلص، بسبب تغير الموظفين السياسيين نتيجة الثورات العربية.

وسواء نظر إليها "كأنموذج" أم استخدمت "كمصدر إلهام"[٢٩]، فإنّ إدارتها للحكم الديني، وللاقتصاد شكل مرجعاً ورقماً للعديد من الجهات السياسية الفاعلة في العالم العربي، وهو ما عدّه العديد من المراقبين بمثابة عودة دبلوماسية "للعثمانية الجديدة"[٣٠]. هذا الموقف تعرض لانتقادات من قبل طهران التي ترى: أن تركيا قد وضعت نفسها على أنها ممر للنفوذ الغربي في العالم العربي، وكان الإتفاق الذي قدمته تركيا عن طريق استضافة منظومة الرادارات المتطورة المضادة للصواريخ في قاعدة "كورسيك" جنوب شرق الأناضول دلالة على استعدادها للمشاركة في سياسة حلف الناتو ضد منظومة الصواريخ الباليستية الإيرانية[٣١].

ومن وجهة نظر طهران، فإنّ هذا القرار يؤكد على إستعداد أنقرة بالانخراط في العالم الغربي، فعلى الرغم من النفي التركي، فإنّ العديد من الشخصيات الإيرانية، ومنهم: المرشد الأعلى

للثورة الإسلامية (آية الله على خامنئي) قد وقفت ضد هذا الإجراء الذي يعدّ إهانة مباشرة للمصالح الإيرانية. وقد أعلن الجنرال الإيراني (أمير علي حاجي زاده): أنه وفي حالة تهديد إيران، فإنّ الجمهورية الإسلامية لن تتردد بضرب الرادار في قاعدة "كورسيك" التركية، وكذلك بعض الأهداف الأخرى، مما يعني: أن تركيا ستكون هدفاً رئيساً للعمليات الإيرانية، ومع ذلك، فإنّ هذه الكلمات قد تبرأ منها المتحدث بإسم وزارة الخارجية الإيرانية، والأهم من هذا كله، هو: أن القلق الإيراني ليس من بطاريات الدرع الصاروخي التي تم نشرها على الحدود السورية_التركية فحسب، بل أن لدى طهران مخاوف من تطورات أخرى ترى: أن فيها تهديداً مباشراً لها، وهذا الخطر يكمن في: الاتفاق الذي جرى أخيراً بين الجيشين: الأميركي والتركي على إجراء مناورات للقوات الخاصة من الجانبين على الأراضي التركية، ويخول هذا الاتفاق الدولة المشاركة في مثل هذه التدريبات أن ترسل كل ما تحتاجه من تجهيزات عسكرية وأسلحة بأنواعها كافة، وكذلك حضور بعض المسؤولين المدنيين أيضاً، مثل هذا الاتفاق يقلق طهران كثيراً، اذ أنه يعني: مزيدا من الحشود الأميركية والغربية في المناطق المتاخمة لها. ولكن طهران لا تريد ربما إظهار هذا التخوف جلياً، ومن ثم تضعه في إطار موقفها من الأزمة السورية[٣٢]، ويكتسي الولوج في تحليل طبيعة العلاقات الأمنية بين الجارتين الكبيرتين بشيء من التعقيد لعدد من الأسباب، منها: أن هذه العلاقات كانت موجودة في بيئة أمنية دائمة التغير والتشكل، وكذلك لارتباط العلاقات الأمنية بينهما بطبيعة توجهات القيادات والنُّخَب الحاكمة فيهما، وأخيرا: إن ارتباط البلدين في حدودهما الجغرافية مع دول تُمثل مصدرًا للتهديد، وللفرص في آنٍ واحد، جعل علاقتيهما ترتبط بشكل أساس بطبيعة تلاقي مصالح الدولتين من عدمه على وفق ما يتيحه السياق المحيط من فرص، وما يحمله من مخاطر وتحديات.[٣٣].

ان الخلافات المرتبطة بالأزمة السورية قد أثرت سلباً في العلاقات التركية_الإيرانية ومع ذلك فإنّ هذه الخلافات يقابلها في جزء منها الدور الذي تبحث أنقرة على أن تؤديه في المفاوضات بخصوص الأنشطة النووية الإيرانية، إذ تؤيد تركيا تطوير التكنولوجيا النووية

لغايات سلمية (مدنية) من قبل إيران، ولكنها تعارض أي برنامج عسكري، وعن طريق القول بتفضيل المفاوضات على العقوبات، ومعارضة تشديد العقوبات الاقتصادية التي تفرضها الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي، فإنّ تركيا تنفصل عن المعسكر الغربي من أجل أن تؤدي دور الوساطة بخصوص الملف النووي الإيراني[٣٤]. هذه المحاولة سمحت ببعض النجاحات للدبلوماسية التركية، ولاسيما في أثناء إختيار العاصمة (إسطنبول) كمدينة مضيفة المفاوضات بين إيران والدول الخمس زائداً ألمانيا (٥+١) في شهر كانون الثاني من العام ٢٠١٢م[٣٥].

وينظر للقضية الكردية من قبل كل من: أنقرة وطهران بعدّها قضية أمنية، وليس كقضية سياسية فقد ظلت من القضايا التي أسهمت في التباعد بين كل من: تركيا وإيران، وقد تعددت الاتهامات التركية التي وُجِّهت لطهران بدعمها للانفصاليين الأتراك، اذ رأت أنقرة أن: ثمة علاقات وثيقة بين إيران وقادة حزب الله التركى[*] وحزب العمال الكردستاني [٣٦].

ومع أن التفاهم الأمني بين الدولتين بخصوص طبيعة إدارة المشكلة الكردية، كان بمثابة نقطة تأسس عليها الكثير من الآمال لإنجاز خطوات أكثر تقدمًا على صعيد العلاقات الأمنية غير أن إصرار إيران على السير قدمًا في مشروعها الطموح لامتلاك برامج نووية لتغدو دولة عتبة نووية، بما يزيد في وتيرة الاختلال في التوازنات الإقليمية على وفق الرؤية التركية، يدفع أنقره هي الأخرى إلى إعادة النظر في حيادها النووي، فبعد أقل من يومين من إعلان إيران نجاحها في تخصيب اليورانيوم، حسمت تركيا أمرها، وقررت اختيار مدينة (سينوب) على البحر الأسود موقعاً لإقامة أول مفاعلاتها النووية، وذلك من بين ثمانية مواقع جرى اقتراحها لإقامة مفاعل نووي تركي من أصل ثلاثة مفاعلات نووية تسعى تركيا لإقامتها[٣٧].

وكما أشرنا سابقا: أن كل من: تركيا و إيران أصبحتا قوتين فاعلتين في منطقة الشرق الأوسط خاصة، بل أصبح لهما نفوذ داخل المنطقة، و قد تجسد هذا النفوذ بالأزمة السورية الأخيرة فنرى مثلا: محور إيران و العراق وحزب الله في لبنان و سوريا إلى الان، ثم محور تركيا و مصر بالإضافة للسعودية و قطر.[٣٨]

إن القرب الجغرافي بين تركيا وإيران يساعد كذلك على تفسير شدة التوترات في أوقات الأزمات، ومع ذلك فإنّ أي تدخل غربي في إيران سيعني: تدهوراً أمنياً، والذي لا يمكن لتركيا أن تستفيد منه بكل تأكيد. إنّه بإمكانها إقامة قواعد خلفية عراقية، والتي تشكل عائقاً كبيراً لتسوية القضية الكردية، فعلى الرغم من أن منطقة:"كردستان العراق" تستطيع أن تكون كمنطقة عازلة، فإنها مع ذلك ليست أرضاً محايدة بوجه تركيا).

وهكذا تحولت العداوة الأصلية تدريجياً إلى شراكة أمنية(*) واقتصادية معقدة، والتي شهدنا فيها القوات الكردية العراقية تتعاون مع أنقرة ضد حزب العمال الكردستاني (بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية)، وكذلك شهدنا إستثمارات تركية كبيرة في شمال العراق، إذ أصبحت تركيا المستثمر الأول الأجنبي في كردستان العراق.

أما بالنسبة لإيران، فتعد تركيا أكثر خطورة من ذي قبل، نظراً لأن أنقرة قد إستطاعت المحافظة على الدعم الغربي لها، وفي الوقت نفسه عززت من نفوذها الإقليمي، وتقيم علاقات جيدة مع أغلب الدول العربية، وينظر في العالم العربي بإحترام وإعجاب للإدارة التركية الجيدة للعلاقات بين الدين والسياسة، وترى إيران: أن ذلك ينافس أنموذج الجمهورية الإسلامية بشكل مباشر.

إن التمسك والحفاظ على العلاقات مع تركيا يسمح لإيران على الأقل بالحفاظ على علاقات مع المجتمع الدولي، والحد من عزلتها[٣٩]، على الرغم من ايران قد توصلت الى ابرام اتفاقية مع المجتمع الدولي حول برنامجها النووي في تموز من العام ٢٠١٥م،

ويبدو أيضاً: أن ذلك ضروري لتركيا أن ترى في ذلك: وسيلة لتأكيد دورها كوسيط في المنطقة.

الخاتمة:

نخلص في هذا البحث إلى أن العلاقات التركية–الإيرانية تتميز منذ القدم: بالتنافس و التعاون في الوقت نفسه، فتارة يكون التعاون ظاهر و التنافس ضمني، و تارة أخرى يكون التنافس هو الظاهر و التعاون ضمني، ومن ثمّ تصبح كل واحدة منهما مكملة للأخرى،

وقد أصبحتا قوتين إقليميتين فاعلتين في المنطقة، وهذا يدل على أن العالم تجاوز مرحلة أحادية القطبية، وأصبح عالم متعدد الأقطاب، فعلى الرغم من التنافس التاريخي بين تركيا وإيران، فإنّه لم يمنع نجاح الدولتين خلال الأعوام الماضية إلى تعزيز التعاون المستمر، وبناء علاقات تجارية متنامية ترقى إلى المزيد من التوسع والتعاون، خاصة في مجال الطاقة، واتخاذ مسار ملفت للنظر في السياسة الخارجية لكلا البلدين، للحفاظ على العلاقات الودية بينهما، حتى في الوقت الذي بقيت فيه تركيا حليفة رئيسة للولايات المتحدة الأمريكية "الشيطان الأكبر" لدى إيران، وكذلك الدولة الإسلامية الوحيدة التي تتمتع بتعاون عسكري رفيع المستوى مع غريمة إيران الرئيسة في منطقة الشرق الأوسط "إسرائيل[٤٠] ".

Reading in the nature of the Iranian-Turkish relations.

Dr. AbdlHamid Al-Moussaoui

Abstract:

Look like Turkey and Iran Kqutin dominant in the region, as is the case today, this region, which is characterized by imbalances and lack of balance, and gain-Iranian relations-Turkish doubly important with circles specialists, researchers and decision-makers in the Arab region, because of that both Iran and Turkey Ikunan in conjunction with the Group of Arab States what area called the «Middle East». These contradictory positions highlights the troubled relations between the two countries which date back to the time of the Ottoman and Persian empires. The competition was due to the objectives of each of them, especially since both of them want to emerge as a regional power able to play a role in helping to stabilize one of the most important centers of tension in the hemisphere. In this study, an attempt to read the nature of the Turkish-Iranian relations between the Alliance and the imperatives of competition in the following three themes:

- The historical legacy of the Iran-Turkey relations.
- Race competition for influence between Iran and Turkey.
- Strategic bets both Turkey and Iran ..

[١] – مصـطفى اللبـاد،" تطـور العلاقـات الإيرانيـة – التركيـة وانعكاسـاتها علـى المنطقـة"، مجلـة شـؤون عربيـة، العـدد(١٢٧)، القاهرة،٢٠٠٦، الامانة العامة لجامعة الدول العربية،ص٨٩.

[2]-Iran Radio Francophone, « La Turquie et l'Iran, une histoire très ancienne », 16 février 2011. http://french.irib.ir/galeries/item/109246- la- turquie-

[3]- Jean Marcou, « La relation turco- iranienne va se stabiliser dans la méfiance », *Le Monde*, 14 octobre 2011. http://www.lemonde.fr/proche- orient/article/2011/10/14/

[4]- Site internet du quotidien : http://www.farsnews.com/

[5]- Rim Khouni Messaoud, « L'Iran et les révolutions arabes : ce qui a changé », *L'essentiel des relations internationales*, n°37, août- septembre 2011.

[٦] – الحافظ النوبني،" العلاقات التركية–الإيرانية، بين التعاون و التنافس و انعكاسها على منطقة الشرق الأوسط، الحوار المتدن www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=347764

[7]- Aymeric Janier, « Iran - Turquie : source de bataille pour l'hégémonie régionale », *Le Monde*, 14 octobre 2011.

[8] Nouchine Yavari - d'Hellencourt, « La représentation du Turc dans les manuels scolaires iraniens», *Cahier d'étuds Surla Mediterranee et le monde turco-iranien, no14, juillet-decembre1992.*

[9]- Idem.

[١٠] – الحافظ النوبني،" العلاقات التركية–الإيرانية، بين التعاون و التنافس و انعكاسها على منطقة الشرق الأوسط، الحوار المتدن www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=347764

[١١] – مصطفى اللباد،" تطور العلاقات الإيرانية – التركية وانعكاساتها على المنطقة"، على موقع الشبكة www.aljarida.com/news/index/260576/

[١٢] –كمال اتاتورك من العام١٩٢٣الى العام١٩٣٨م،ومن العام١٩٢٥م الى العام ١٩٤١م بالنسبة للشاه.

[13]- Semih Vaner, « Modernisation autoritaire en Turquie et en Iran, actes de la table ronde de l'Equipe de recherches sur la Turquie et l'Iran contemporains », édition L'Harmattan, 1991.

[14]- Patrice Gourdin, *Géopolitiques manuel pratique*, Choiseul, 2010.

[15]- Afsâneh Pourmazâheri, « La conversion de l'Iran au chiisme sous les Safavides, un tournant décisif pour l'identité géopolitico- religieuse de l'Iran », *La Revue de Téhéran*, n°72, novembre 2011.

[١٦] – محمد بن صقر السلمي،"العلاقات التركية الايرانية اختلاف في وجهات النظر، على الموقع www.majalla.com/arb/2012/11/article55240363

[١٧] – مصـطفى اللبـاد،" تطـور العلاقـات الإيرانيـة – التركيـة وانعكاسـاتها علـى المنطقـة" علـى موقـع الشـبكة www.aljarida.com/news/index/260576/

[١٨] – تريتا بارزي، ايران والمجتمع الدولي، مصدر سبق ذكره، ص٢٤١.

[19]- Patrice Gourdin, ibid.

[٢٠]– عمار مرعي الحسن، مصدر سبق ذكره،ص١٥.

[21]- David Rigoulet- Roze, « "Arc sunnite" versus "Croissant chiite": deux faces d'un même Janus conflictuel ? », septembre 2007.

[22]- Soner Çağaptay, Alex Vatanka, « How Turkey and Iran see each other », 18 avril 2012. http://www.eurasiareview.com/18042012-how-turkey-and-iran-see-each-other-oped/

[23]- Saeed Kamali Dehghan «Iran and Turkey open rift over Syria», *The Gardian*, 5 avril 2012.

[24]- Pour une analyse détaillée : Club du Millénaire, « Quel avenir pour la Syrie ? » Conférence de Thomas Pierret du 13 avril 2012.

[٢٥] – شريف شعبان مبروك ،العلاقات التركية – الإيرانية"،من المنافسة إلى التقارب" ، مختارات ايرانية، على الموقع digital.ahram.org.eg/makalat.aspx?archiveid=14&eid=457

[٢٦] – شريف شعبان مبروك ،العلاقات التركية – الإيرانية"،من المنافسة إلى التقارب" ، مختارات ايرانية، على الموقع

digital.ahram.org.eg/makalat.aspx?archiveid=14&eid=457

[٢٧] – احمد داود اوغلو، العمق الاستراتيجي، ص٤٧١.

[28]- Alain Vicky, « La Turquie à l'assaut de l'Afrique », mai 2011, *Le Monde diplomatique*.

[29]- Saâd E. Tazi, « La Turquie, modèle ou source d'inspiration ? », *Le Soir Echos*, 12 janvier 2012.

[30]- MK Bhadrakumar, « La rebuffade turque change la donne au Proche- Orient », février 2009. :http://questionscritiques.free.fr/edito/AsiaTimesOnline/M_K_Bhadrakumar/Erdogan_Turquie_Israel_Gaza_re alignement_040209.htm

[٣١] – الصاروخ الباليستي الإيراني (شهاب ٤) يصل مداه الى (٤٠٠٠)كلم،فيما ما يزال البرنامج في حالة تطور، ويهدف ذلك إلى: زيادة المديات لدعم وتعزيز قوة الجمهورية الإسلامية في إيران، أما دفاعات حلف الناتو، فهي تتمثل بمنظومة الصواريخ المدعومة من الولايات المتحدة الأمريكية، والمتمركزة في قاعدة (كورسيك) التركية.

[٣٢] – مُحَمَّد بن صقر السلمي،"العلاقات التركية الايرانية اختلاف في وجهات النظر، على الموقع

www.majalla.com/arb/2012/11/article55240363

[٣٣] – مُحَمَّد عبد القادر،"البعد الأمني في العلاقات التركية الإيرانية"، مختارات إيرانية العدد ٧٨، يناير ٢٠٠٧م.

[٣٤] – تريتا بارزي، ايران والمجتمع الدولي، مصدر سبق ذكره، ص٢٤١.

[٣٥] – الأعضاء الدائمين الخمسة في مجلس الأمن بالإضافة إلى ألمانيا.

[*] – حزب الله التركي الذي ينشط غالبًا بين الأكراد في جنوب شرق تركيا يتلقى دعمًا مباشرًا من طهران، ويعيش كبار قادته حاليًا في إيران، ولا يخفى على أي متابع جهود النظام الإيراني لتوسيع نفوذه بين الإسلاميين في المناطق الكردية، عن طريق أنشطة حزب الله التركي، والذي يستغل أجواء الحرية والديمقراطية، مما يشكل خطرًا على أمن تركيا واستقرارها، ينظر: إسماعيل باشا، قراءة في كتاب إيران تهديد أم فرصة؟

[٣٦] – مُحَمَّد عبد القادر،"البعد الأمني في العلاقات التركية الإيرانية"، مختارات إيرانية العدد (٧٨)، يناير ٢٠٠٧م.

[٣٧] – مُحَمَّد عبد القادر،"البعد الأمني في العلاقات التركية الإيرانية"، مختارات إيرانية العدد ٧٨، يناير ٢٠٠٧م.

[٣٨] – الحافظ النويني،" العلاقات التركية–الإيرانية، بين التعاون و التنافس و انعكاسها على منطقة الشرق الأوسط، الحوار المتمدن www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=347764

[*] – ففي أيلول من العام ١٩٩٢م، تم تشكيل لجنة أمنية مشتركة تختص بالمسائل الأمنية وامن الحدود ومكافحة تهريب المخدرات، وفي آذار من العام ٢٠٠١م، تم الاتفاق على وصف حزب العمال الكردستاني التركي ومنظمة مجاهدي خلق الإيرانية بأنها تنظيمات إرهابية، وهي المرة الأولى التي تتفق فيها الدولتان على هذا الوصف،ينظر: عمار مرعي الحسن، التنافس التركي الإيراني للسيطرة على العراق بعد العام ٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية،بغداد،٢٠١٤م،ص:١٠٦.

[٣٩] – وبمناسبة زيارة الرئيس التركي (عبدالله غول) إلى إيران في شهر شباط من العام ٢٠١١م، قال المرشد الأعلى للثورة الإسلامية أية الله(علي خامنئي) ان الاستقلالية تجاه الغرب واتخاذ موقف من النظام الصهيوني، وتقديم الدعم للشعب الفلسطيني هي التي تمثل الخطوط العريضة لسياسة أنقرة التي تقربها من العالم الإسلامي، ومعناها سياسة صالحة من كل وجهات النظر لخدمة مصالح تركيا وكذلك مصالح العالم الإسلامي.

Iran Radio Francophone, « La Turquie et l'Iran, une histoire très ancienne », 16 février 2011.Source : http://french.irib.ir/galeries/item/109246- la- turquie- et- l%E2%80%99iran- une- histoire- tr%C3%A8s- ancienne.

[٤٠] – شريف شعبان مبروك ،العلاقات التركية – الإيرانية"،من المنافسة إلى التقارب" ، مختارات إيرانية، على الموقع

digital.ahram.org.eg/makalat.aspx?archiveid=14&eid=457.